



حكاية الحرية لا ينسجها بطل واحد، بل كل بطل هو حكاية متكاملة تحاك من عزائم الكبار، ونفوس الأباء، تتنزّين بإرادة الأقوياء على إعلاء الحق وإزهاق الباطل، تتعنى بالانتصار..... هي حكاية سينطق لها الحجر، وتحكيها الشجر.. ولنحك معاً حكاية شاب من مدينة الرستن الواقعة خلف ضفاف العاصي.

ولد في ١٤/٨/١٩٨٣

ينتمي إلى أسرة مكافحة تكون من والده الفلاح البسيط وأمه التي أرضعته حب الأرض والعزّة والكرامة وإخوته.

هو النجم (أحمد الخلف) وله من اسمه نصيب..

منذ طفولته وهو يحلم بأن يكون بطلاً من الأبطال ويشارك في تحرير الجولان ... ويحلم بارتداء البدلة العسكرية التي ستُنزّين كتفها بالنجوم....

عندما أصبح أحمد شاباً انتسب إلى الكلية العسكرية وكانت علاقته وطيدة مع رفاقه ذو شعبية واسعة، تجمعهم ذكريات الجد والهزل والفرح والحزن والسباق والتنافس في تعلم الرماية....

كان يحلم أحمد بالشهادة على ثرى الجولان لذلك اجتهد وأتقن الرماية كي يثار من العدو الإسرائيلي، واتقد حلمه واشتد نبضه عندما تعين في مرتقبات القوات الخاصة....

وفي وقتها بدأت رياح الربيع العربي تهب من تونس، لا وسيلة تواصل فلا تلفزيونات ولا هواتف سوى الأخبار التي تشوّه

الفكر والعقل والتي تتحدث عن مؤامرة كونية على سورية سلفية بالتعاون مع بندر والحريري... كانوا مغيبين تماماً، معزولين، فلم يسمعوا بفرار (علي) ولا بسقوط (مبارك) ولا بالثورة الليبية واليمنية.... لم تصل إليهم استغاثات إخوانهم في درعا وهم يصرخون الفزعه.. ولم يدروا باقتلاع أظافر الأطفال، إذ كانوا في حصار إعلامي خانق... وفي ذات ليلة أنته في نومه رؤيا عن الجنة والشهادة، أشرق صباحها على مهمة واضحة قالوا لهم: إن أهل درعا يريدون إقامة إمارة سلفية، وأن فيهم عصابات مسلحة... أنته الأوامر أن يبيد في درعا كل شيء.. عندما ذهب إلى درعا لم ير سوى أناساً سلميين يحملون أغصان الزيتون، يتغدون بعبارات عن الحرية توقف القلوب من غفلتها.... ولسان حالهم يقول ياحيف....

امتزجت نداءات الناس الذين يقولون:(لا تقتل نحن أهلك، أبناء وطنك، أهل ديرتك، أنت أخي وأنا أخوك، أنا ابن بلدك) امتزجت تلك الأصوات بصوت الحورية التي استيقظ على صوتها ذات صباح تدعوه إلى الجنة... أعطى أحمد أوامره لجنوده بالامتناع عن ضرب النار، فهو يؤمن أن مهمته الأولى والأخيرة هي الدفاع عن أبناء وطنه وليس قتلهم!!!

علم حينها أن قراره سيكلفه البعد عن أولاده وزوجته وأبويه وإخوانه، لكن عواقب الأمر عنده أهون من أن يكتب عند الله قاتلا...

وفي ٧/حزيران ٢٠١١ كشف أمره فتعرض للمراقبة الشديدة ومن ثم للإقامة الجبرية لدى قائد الكتيبة، ثم علم أن هناك قراراً بتصفيته....

رائحة الجنة وسهرها يدنو إليه، فتجلى قرار الانشقاق أمامه كواجب عليه.. وعندما انسلاخ عن هذه القذارة التي قبلته بقيودها وعزلته، كادت أن تجرده من إنسانيته - عندها ولد من جديد فرح أهالي الرستن به وحملوا والده على الأكتاف واستقبلوه بالزغاريد كعربيس ليلة عرسه.. قد كان أحمد في سماء الحرية نجماً وصقراً من صقرها، نادته الجنة فلبى النداء ونزع تلك النجوم الزائفة التي أثقلت كتفه وهرع راكضاً ينصر الحق

هذا هو الملازم (أحمد الخلف) الذي أبغض الطغاة وعرف معالم الطريق ..فهم الرواية، وسطر ببطولته كل الحكاية، فانشق والتحق بالجيش الحر، انضم إلى كتيبة خالد بن الوليد، كانت لديه خطة عمل مفصلة، أولى بنودها وأهمها هو امتلاكه قناصة يقنص بها كل أيام لعين، باع ذهب زوجته بسبعين ألفاً وكان ينقصه مثيلتها، طلب من تنسيقية الرستن في الخارج إمداده بالمال كي يحقق حلمه، انتظر في الأردن لمدة أسبوعين بعد انشقاقه ولم تصل أية مساعدة إليه، فالتنسيقية بذلك جهداً كبيراً لكن كل الأبواب التي طرقها لم تجدها.....!!!

عاد إلى سوريا ودخل درعا، اشتري روسيّة وأذاق الشبيحة والأمن الويل فيها، درعاً كلها تشهد له قبل الرستن . انتقل إلى الرستن لمؤازرة إخوانه ومازال حلمه باقتناء القناصة يكبر داخله لأنّه هداف ماهر.. وصرح لصديقه بذلك قبل استشهاده بيومين

كان لأحمد بصمة طبعت على قلوبنا، فعندما يطرق اسم (أحمد الخلف) مسامع الصغار قبل الكبار، ويتردد صداه في ذاكرتنا الثورية لابد لنا من أن نتذكر مقولته التي نقشت على صفحات قلوبنا (إذا دخلت الدبابات الرستن اعلموا أنني قد استشهدت)

تولى الدفاع عن المدخل الشرقي وظل يقاتل هو وبعض من عناصره لمدة يومين متتالين بسلاح فردي بسيط يصد جحافل الدبابات ويعنها من التقدم، لكن في قلبه غصة لأن رصاص الموت سيأتيه من كانوا رفاق الأمس، وفي يوم ٢٠١١٩١٢٨

أنته رصاصة الغدر والحدق. نزف على أثرها حتى الموت، وهو اليوم الثاني لمحاصرة واقتحام الرستن من قبل كتائب الأسد...

حق أحمد حلمه في الشهادة، وحقق حلمه في التحرير، فقد كان يدافع عن الحرية... تلك الكلمة التي أعجزتهم!!
حلم بالنجوم التي ستزين كتفه، فعبر مسرعاً نحو السماء ليكون نجماً متوجهاً، وضاءً، هادياً..

دفن الشهيد أحمد في فناء مدرسة الشريعة بدون وضع أي علامة تدل على قبره، وقام أبطال كتيبة خالد ابن الوليد بحفر قبر في المقبرة، دفناً كمية كبيرة من المتفجرات فيه، وضعوا شاهدة على القبر مكتوب عليها (قبر الشهيد أحمد الخلف) ...
عندما دخلت العصابة الأسدية مدينة الرستن، ذهبوا إلى المقبرة لينبشوا قبر الشهيد أحمد فانفجرت فيه المتفجرات المدفونة وقتل منهم ١٢ عنصر.

جن جنونهم واعتقلوا والد الشهيد، أرغموه على إخراج جثة ابنه...
يالعقلهم الغبية خدعهم اسمه فقتلهم...
يَا لقلوبهم المجبولة بالحقد إِنَّه جُثَة هامدة....

افعلوا ما شئتم بها فلن تأسروا روحه ولن تؤثروا عليها... فهي في مكان بعيد... بعيد عن قدراتكم العقلية.... يا ويحكم !!!...
وبعد ما يقارب الشهر من استشهاد (أحمد) ولد ابنه (عمر) في تاريخ ٢٤/ديسمبر/٢٠١١م فرح أهله به فرحاً شديداً وبسلام
جرحهم فهو سيخلف والده ويملاً عليهم الحياة..

وقالوا له: يَا أهلاً بك يا عمر هذا الزمان، ارفع رأسك عالياً فإن والدك هو الشهيد البطل أحمد الخلف...
لم يعلموا أن هناك مكرًا يحاك لهم.

في ٢٠/٧/٢٠١٢ قام النظام بمجزرة في بيت الشهيد أحمد الخلف واستشهدت طفلته هدى واستشهد شقيق زوجته عبد الرحمن الشيخ خلف، أصيب قريبه أحمد الشيخ خلف عمره ٤ أشهر وهو رضيع، وأيضاً أصيب حمزة محمد الشيخ خلف.... عائلة كاملة أصبحت بين جريح وذبح... أحمد أنت وعائلتك رمزاً من رموز الثورة.. كم لك علينا يا أحمد.....؟؟؟

وقيل في رثاء الشهيد:

عاد بعد الموت حيا *** ذكره كان عليا
في جنان الخلد يمشي *** هانئ النفس رضيا
كان في الدنيا شجاعا *** ثابت الخطوط أبيا
لم يكن يخشى كفورا *** أو ظلوماً أو شقيا
لم يكن يرضى بذل *** منذ أن كان تقينا
إنما يرضى بذل *** كل من كان عصيا
عاهد الرحمن يوما *** منذ أن كان صبيا
أن يعيش العمر دوما *** طاهرا حرا نقيا
في حمى الرحمن يمضي *** عزمـهـ كانـ فـتـيا
عيشهـ كانـ جـهـادـا *** ثمـ حـباـ أـخـوـيا
في كتاب الله يتلو *** خاشـعـ القـلـبـ شـجـيا
مع شـبابـ لمـ يـرأـفـوا *** كـلـهـمـ كانـ زـكـيا
كانـ يـرجـوـ أـنـ يـنـالـ *** الـخـلـدـ خـلـداـ أـبـدـيا

فَلَقْدَ ضَحِيَ بِرُوحٍ *** لِّلْفَدَا كَانَ حَرِيَا
وَلَقْدَ أَوْفَى بِعَهْدٍ *** إِنَّهُ كَانَ وَفِيَا
إِنَّهُ وَاللَّهُ حَقٌّ *** كَانَ شَهْمًا أَرِحِيَا

قصص شهداء الثورة السورية

المصادر: